اِجْعَلْ لَكَ خَبِيئَةً

١٤٤٦/٣/١٠هـ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

الْحَمْدُ للهِ وَلِيُّ مَنِ اتَّقاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، وَمَنْ لاذَ بِهِ وَقَاهُ، أَحْمَدُهُ سُبْحانَهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحابِهِ وَمَنْ دَعا بِدَعْوَتِهِ وَاهْتَدَى بِهُداهُ. ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] **أَمَّا بَعْدُ:**

فَاتَّقُوا اللهَ تَعالَى وَأَصْلِحُوا أَمْرَ آخِرَتِكُمْ! فَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ صَلُحَ لَهُ أَمْرُ دُنْياهُ، وَالْفائِزُ غَدًا مَنْ تَمَسَّكَ الْيَوْمَ بِالتَّقْوَى! وَالْخاسِرُ مَنِ اتَّبَعَ الْهَوَى. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ لا فَوْزَ إِلَّا لِمَنْ أَطاعَ اللهَ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إِخْوَةَ الْإِيمانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» [أخرجه البخاري]؛ فَحَرِيٌّ بِكُلِّ عاقِلٍ! أَنْ يَعْمَلَ بِما يُنْجِيهِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الموْقِفِ الْعَصِيبِ، قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]. وَقالَ ﷺ: «مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صالِحٍ فلْيَفْعَلْ» [صححه الألباني]. أَيْ: مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَمَلٌ

صالِحٌ يُخْفِيهِ عَنْ أَنْظارِ الْخَلْقِ لا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا اللهَ تَعالَى فَلْيَفْعَلْ.

أَيُّها الموَحِّدُونَ: كانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ خَبِيئَةٌ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْها إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتِلْكَ الْخَبِيئَةُ تَكُونُ صَلَاةً فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، أَوْ صَدَقَةً فِي السِّرِّ، أَوْ مُواساةَ مِسْكِينٍ، أَوْ إِغاثَةَ مَلْهُوفٍ، أَوْ كَفالَةَ يَتِيمٍ، أَوْ مُكابَدَةً لِظَمَأِ الْهَواجِرِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعاتِ، فَتِلْكَ الْخَبايا! هِيَ الَّتِي تَنْفَعُكَ غَدًا فِي ذَلِكَ الموْقِفِ الْمَهُولِ! لِأَنَّها تَكُونُ مُشْبَّعَةً بِالْإِخْلاصِ، مُحَصَّنَةً بِالْكِتْمانِ، قَدِ امْتَلَأَ قَلْبُ صاحِبِها خَشْيَةً وَإِخْلاصًا للهِ تَعالَى، لا يَطْلُبُ مَدْحًا وَلا ثَناءً، لا رِياءَ وَلا سُمْعَةً؛ وَالْخَبِيئَةُ الصَّالِحَةُ يا عِبادَ اللهِ عَلامَةُ صِدْقِ الْإِيمانِ، وَهِيَ زِينَةُ الْعَبْدِ فِي خَلْوَتِهِ، وَزَادُهُ لِآخِرَتِهِ؛ وَلِهَذَا رَغَّبَ فِيها

الْإِسْلامُ! لِتَكُونَ لِلْمُؤْمِنِ فَرَجًا عِنْدَ الْكُرُباتِ، وَطَوْقًا لِلنَّجاةِ يَوْمَ الْحَسَراتِ، وَغَرْسًا طَيِّبًا فِي فَسِيحِ الْجَنَّاتِ، وَهِيَ أَرْجَى الْأَعْمالِ وَأَعْظَمُها ثَوابًا؛ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لِبِلالٍ رضي الله عنه: «يا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ! فَقالَ بِلالٌ رضي الله عنه: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ» [أخرجه البخاري ومسلم]،

إِنَّها خَبِيئَةٌ مِنْ رَكَعاتٍ عَقِبَ كُلِّ وُضُوءٍ داوَمَ عَلَيْها بِلالٌ رضي الله عنه، لَمْ يَتْرُكْها لَيْلًا أَوْ نَهارًا؛ فَنالَ بِها تِلْكَ المَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الْجَنَّةِ، فالسَّرائِرُ مَدارُ الْأَعْمالِ، وَعَلَيْها الْمُعَوَّلُ يَوْمَ كَشْفِ الْأَسْتارِ. قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "أَسِرُّوا ما شِئْتُمْ، مَنْ أَسَرَّ سَرِيرَةَ خَيْرٍ أَلْبَسَهُ اللهُ رِداءَها، وَمَنْ أَسَرَّ سَرِيرَةَ

شَرٍّ أَلْبَسَهُ اللهُ رِداءَها". قالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه: "اِجْعَلُوا لَكُمْ خَبِيئَةً مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا أَنَّ لَكُمْ خَبِيئَةً مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ"، عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَهُوَ مِنْ كِبارِ التَّابِعِينَ، كانَ يَحْمِلُ أَكْياسَ الدَّقِيقِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ، يَطُوفُ عَلَى مَائَةِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْفُقَراءِ وَالْأَرامِلِ وَالمساكِينِ، فَيَضَعُها أَمامَ أَبْوابِهِمْ، وَلَمْ يُعْرَفْ إِلَّا عِنْدَما ماتَ، وَغَسَّلُوهُ فَوَجَدُوا آثارَ حَمْلِ الْأَكْياسِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَانْقَطَعَتِ الْأَكْياسُ عَنِ الْفُقَراءِ. [البداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ١٢٣]، وَذَكَرَ الْإِمامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ابْنَ المبارَكِ يَوْمًا، فَقالَ: "ما رَفَعَهُ اللهُ إِلَّا بِخَبِيئَةٍ، كانَتْ لَهُ"، وَهَذا داوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ -رَحِمَهُ اللهُ- كانَ يَصُومُ وَلا يَعْلَمُ بِهِ أَهْلُهُ، كانَ لَهُ دُكَّانٌ، يَأْخُذُ طَعامَهُ فِي الصَّباحِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، فَإِذَا أَرْسَلُوا لَهُ الْغَداءَ تَصَدَّقَ بِهِ كَذَلِكَ، ثُمَّ يَتَعَشَّى مَعَ أَهْلِهِ، وَظَلَّ عَلَى

ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ بِصِيامِهِ، وَقامَ اللَّيْلَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، وَلَمْ تَعْلَمْ بِهِ زَوْجَتُهُ.[صفة الصفوة ابن الجوزي: ٣/ ٣٠٠]. وَقالَ ابْنُ حِبَّانٍ –رَحِمَهُ اللهُ: "قُطْبُ الطَّاعاتِ لِلْمَرْءِ فِي الدُّنْيا هُوَ إِصْلاحُ السَّرائِرِ".

إِخْوَةَ الْإِيمانِ: لَقَدْ جاءَ التَّرْغِيبُ فِي عِبادَةِ السِّرِّ لِكَوْنِها أَقْرَبُ لِلْإِخْلاصِ؛ قالَ ﷺ: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ» [صححه الألباني]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»: وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما صَنَعَتْ يَمِينُهُ». وَفِي قِصَّةِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ فِي الْغارِ، لَمْ يَنْفَعْهُمْ إِلَّا التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِخَبايا أَعْمالٍ صالِحَةٍ، أُحِيطَتْ بِسِياجِ الْإِخْلاصِ، فَكانَتْ

سَبَبًا فِي تَفْرِيجِ كَرْبِهِمْ، قالَ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ تَطَوُّعًا حَيْثُ لَا يَراهُ النَّاسُ تَعْدِلُ صَلاتَهُ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ» [أخرجه أبو يعلى في المسند]

بارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِما فِيهِما مِنَ الْآياتِ وَالْحِكْمَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِوالِدَيَّ وَلِوالِدِيْكُمْ وَلِسائِرِ المسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ﴾

الْحَمْدُ للهِ وَكَفَى، وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى النَّبِيِّ المصْطَفَى، وَعَلَى الْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرامِ وَمَنِ اقْتَفَى.

عِبادَ اللهِ: وَقَفَ رَجُلٌ يُصَلِّي فِي المسْجِدِ، فَلَمَّا سَجَدَ، بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، فَقامَ إِلَيْهِ أَبُو أُمامَةَ الْباهِلِيُّ صاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقالَ لَهُ: "أَنْتَ أَنْتَ، لَوْ كانَ هَذَا فِي بَيْتِكَ" [الزهد لابن المبارك، ص: ٥٠]. فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صالِحٍ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ كُلَّما بَعُدَ عَنْ عُيُونِ النَّاسِ كانَ أَرْجَى فِي الْقَبُولِ، وَيَا سَعْدَ مَنْ أَسَرَّ لَهُ خَبِيئَةً صالِحَةً، تَكُونُ نُورًا لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَزادًا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، يَنْجُو بِها مِنْ هَوْلِ يَوْمٍ عَظِيمٍ، وَما أَرْوَعَ كلامَ بِشْرِ بْنِ الْحارِثِ يَومَ أَنْ قالَ: "لا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ رَجُلٌ يُحِبُّ فِي الدُّنْيا

أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ". فَاجْتَهِدُوا يا رَعاكُمُ اللهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ نَصِيبٌ مِنْ عِبادَةِ الْخَفاءِ؛ فَإِنَّها قُوتُ الرُّوحِ وَنَعِيمُ الْقَلْبِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبابِ الثَّباتِ، قالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: "أَجْمَعَ الْعارِفُونَ أَنَّ ذُنُوبَ الْخَلَوَاتِ هِيَ أَصْلُ الِانْتِكاساتِ، وَأَنَّ طاعَةَ السِّرِّ هِيَ أَصْلُ الثَّباتِ". فَاللهَ اللهَ فِي عِباداتِ السِّرِّ، اِحْرِصُوا عَلَى إِصْلاحِ سَرَائِرِكُمْ، وَعِمارَةِ بَوَاطِنِكُمْ، تَعاهَدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْخَفاءِ؛ فَإِنَّ صَلاحَ الْبَواطِنِ هُوَ طَرِيقُ الرِّفْعَةِ فِي الدُّنْيا، وَسَبِيلُ النَّجاةِ فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمامِ الْمُتَّقِينَ، وَقُدْوَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ بِذَلِكَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، فَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَزَوْجَاتِهِ الْمُطَهَّرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَارْضَ **اللَّهُمَّ** عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الْإِسْلامَ وَالمسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمشْرِكِينَ، **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطانِنا، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنا وَوُلاةَ أَمْرِنا، **اللَّهُمَّ** أَيِّدْ بِالْحَقِّ إِمامَنا وَوَلِيَّ أَمْرِنا، **اللَّهُمَّ** خُذْ بِناصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَوَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا فِيهِ صلاحُ الْعِبادِ وَالْبِلادِ، **اللَّهُمَّ** أَصْلِحْ أَحْوالَ المسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَرُدَّهُمْ إِلَى دِينِكَ رَدًّا جَمِيلًا، **اللَّهُمَّ** اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالمسْلِماتِ وَالمؤْمِنِينَ وَالمؤْمِناتِ الْأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْواتِ، وَآخِرُ دَعْوانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ **عِبَادَ اللهِ:** ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب:٤١ و٤٢]